

ازدهار الشعبوية

مرحلة كاملة وليست ظاهرة عابرة



لقاء الشعبويات شرقاً وغرباً (غرافيك «العرب»)

الشعبوية الغربية لا تزال في بدايتها ولا نعرف إن كانت الترامية لحظة عابرة أم مؤسسة، أو يكون بريكست بداية الانشقاقات وليس خاتمتها

لحظة عابرة أم مؤسسة، أو يكون بريكست بداية الانشقاقات وليس خاتمتها. الشعبوية الغربية تبدو راسخة، سهلة الفهم وعصية على الإدراك، في الحالى، هذه مرحلة قد تطول.

فيما عدا محاولات بسيطة وانطباعية، لا يوجد رد فكري عربي على الشعبوية، لا شعبية الإخوان ولا شعبية السلفيين ولا شعبية الخمينيين، بل العكس. هذه الأوجه من الشعبوية الدينية استطاعت استقطاب المثقفين لجانبها ممن جأؤوا مختارين أو مجبرين في بيئة مستقطبة ما عادت تحتل أي تنوعات. الفتح الشعبي كان لا يقبل إلا دخول الناس فيه أفواجا. على المعتزض البحث عن مكان يهاجر إليه أولا وأن يصمت عن مخاطبة الآخرين ثانيا.

ومهمة هذه المنظومة الفكرية هو تقديم خارطة الطريق للوصول إلى الحل. ولو استلزم الأمر هذه المنظومة الاجتماعية أو السياسية على رؤوس الشعوب في الشرق الأوسط، فلا بأس طالما أن النتيجة إلهية وتنتظرن.

وهذا ما حدث، فبدءا من الحرب العراقية الإيرانية مروراً بدخول العرب على خط الحرب الأفغانية وصولاً إلى حرب الكويت ثم غزو العراق، كان التهديد يجري للحروب الأهلية العربية الشاملة. حروب ساخنة كثيرة وحروب باردة أكثر. الراجح الأكبر من كل الحروب الجارية حالياً هو الخطاب الشعبي المسلح بالدين. أذان العرب وقلوبهم تعمل منذ سنين في تحدٍ للملكة العقل. وهذا قادنا إلى اللحظة الراهنة.

بهذا الفكر بلغة عصرية مرنة تتجاوب مع التغيرات. الغربي كان يذهب إلى المدرسة لكي يتم تشكيله معرفياً. أما اليوم، فهو ابن اليوتيوب والتواصل الاجتماعي. في فسطاط ما تبقى، كان الأمر سورياً. في مرحلة ما بعد الاستقلال، برزت القومية كمنظومة حكم أكثر منها منظومة فكرية. لم تستمر طويلاً، وأصبحت إصابة قاتلة في حرب 1967. ثم توفيت ودفنت في بغداد عام 2003. البديل الإسلامي رافقنا منذ يوم ارتحل جيش السلطان العثماني عن ديارنا. دعوات الخلافة والإمامة ازدهرت وأخذت أوجها إخوانية وسلفية وخمينية، ولكنها في القلب متشابهة. كلها تؤكد أن الحل موجود أمامنا، ولكننا لا نراه.



هيثم الزبيدي
كاتب عراقي

لا أعرف لماذا يبدو المثقفون وهم منتعضون من صعود الشعبويين. الشعبويون ليسوا ظاهرة. هم مرحلة. ترك لهم المثقفون الساحة، فصعدوا بخطابهم واستحوذوا على أذان الناس ثم قلوبهم.

سيقول المثقفون أن الشعبويين يعيشون بين الأذان والقلوب، ولكنهم بعيدون عن العقل. ربما كان هذا الوصف صحيحاً. ولكن من قال إنه الأفضل لتوصيف الحالة التي نعيشها اليوم في عالمنا؟

لنقسم البلاد: فسطاط ديمقراطي وفسطاط ما تبقى.

في العالم الديمقراطي تراجع الفكر. ثمة الكثير من النجاج الثقافي والفني، ولكن التحدي الفكري في تراجع. فيما سبق، كانت الأفكار الليبرالية في مواجهة مجموعتين فكريتين باندع سلطوية. من جانب هناك فكر فاشي يميني قوي وصاعد، ومن جانب ثان هناك فكر ماركسي يريد أن يفرض المنظومة الشيوعية على العالم. المقارعة الفكرية كانت عميقة، ولكنها استلذمت حربين كبيرتين لكي تصل إلى نصر الفكر الليبرالي. هزمت الفاشية على يد الليبرالية والشيوعية معا في الحرب العالمية الثانية، ثم هزمت الشيوعية على يد الليبرالية في الحرب الباردة. بعد هزيمة الشيوعية، استرخى الغرب الليبرالي فكرياً وإن استمر استنفاه سياسياً وعسكرياً فيما يسمى الحرب على الإرهاب. «صدام الحضارات» هو مواجهة بين منظومات اجتماعية مختلفة، ولكن التنسند الإسلامي ليس تحدياً فكرياً بالنسبة إلى الغرب. مواجهة التطرف هي مهمة بوليسية في الغرب داخلياً، وعمليات حربية خارجياً.

لا يوجد مفكر عربي جاد يمكن أن يجلس ليكتب كتاباً عن الرد الفكري الليبرالي على الموقف «الفكري» الإسلامي.

هذا الانقطاع الفكري - أو الخواء الفكري إن جاز التعبير - خلف فراغاً. لا تستطيع أن تملأ حياة الناس بعدد لا ينتهي من المسلسلات الترفيحية والبرامج المسلية والتقنيات والمهرجانات. التمتع بالحياة شيء ضروري، ولكن في مجتمعات مركبة مثل المجتمعات الغربية، كان الناس

تأنيث فضاء الكتابة

في الكتابة تمثلت في رواية تيار الوعي والرواية التعبيرية، باعتبارهما الأكثر تمثيلاً للذات الأنثوية، وما يدور في دواخلها من صراع وجارات ومشاعر مضطربة وهواجس نابغة من ظروفها الاجتماعية والتاريخية التي تحاول التحرر من آثارها النفسية والشخصية. لكن هذا الحضور اللافت الذي استطاعت المرأة الكاتبة أن تحققه في الحياة الأدبية لم يجعل النقد الأدبي الذي كان يهيمن عليه الرجال يلتفت إلى هذا الأدب، ويمنحه التقدير الذي يستحقه، ما جعل المهمة الأولى للنقد النسوي عند ظهوره في بداية ستينات القرن الماضي هي إعادة الاعتبار لهذا التراث من خلال إعادة تقديمه إلى القارئ على نحو مغاير من خلال إعادة طبعه ونشره في سلاسل أنيقة لاقت نجاحاً لافتاً كان بمثابة إعادة اعتبار لقيمتها الأدبية. وتولت المرأة كاترين كيرجان والناقدة النسوية إيلين موزير، في حين بدأت الناقدات النسويات بإعادة قراءة هذا التراث والكشف عن المراحل التي مر بها الوعي الأنثوي عند هؤلاء الكاتبات على مستوى اختياراتهن وتوجهاتهن في الكتابة، بدءاً من المرحلة الأولى التي تميزت بالتقليد لأشكال الكتابة السائدة مروراً بالاعتراض على هذه الأشكال والمعايير الأدبية الخاصة بها، وحتى المرحلة التي بدأت منذ مطلع الستينات من القرن الماضي، وتركز فيها عمل الكاتبة على اكتشاف الهوية الذاتية للانثى من خلال التوجه نحو الداخل بحثاً عن هذه الهوية الخاصة.

لقد كان التحول الذي قادته وولف على مستوى الكتابة والمطالب النسوية أثره في تعزيز حركة النضال النسوي.

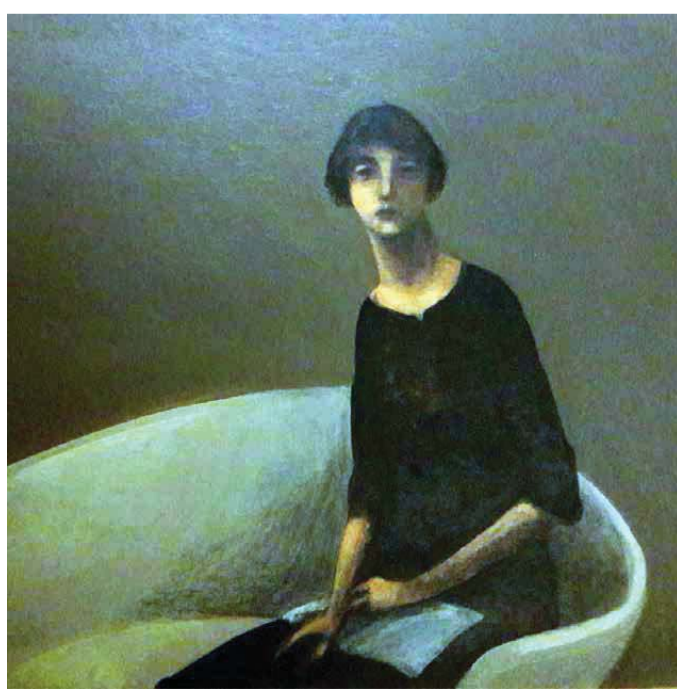
كان يطرأ على وعي المرأة النسوية الكاتبة على المستوى الذاتي الوجودي والجمالي.

إن هذه المرحلة التي بدأت بتقليد نماذج الأدب الكلاسيكي الشائع سرعان ما أخذت تتراجع ليحل محله أدب يعنى بأوضاع المرأة ويعبر عن معاناتها، ويعد الأدب الذي كتبه فرجينيا وولف تمثيلاً حقيقياً لهذا التحول، الذي كان يطرأ على وعي الكاتبة النسوية، إذ انتقلت من بداياتها الأولى مع الرواية الكلاسيكية المحرسة، إلى مرحلة جديدة

من الذات الأنثوية الفاعلة. وتعتبر المرحلة الممتدة من نهاية القرن التاسع عشر وحتى بداية القرن العشرين والتي تسفها الناقدة النسوية إيلين شوارتر بالمرحلة النسوية، هي الموجة الثانية في تطور الكتابة النسوية، والتي كانت تعبر عن الصراع والخوف في مواجهة سلطة الثقافة للمجتمع الأبوي. إن مقارنة بين الأدب الذي كتبه الكاتبات في مطلع القرن التاسع عشر والأدب الذي كتبه في النصف الثاني من نفس القرن تظهر مدى التحول الذي

لقد أسهم تنامي الوعي السياسي عند النسويات في تطور نضال الحركة النسوية وتوسعه، وقد تجلّى ذلك في ظهور نزعة الاحتجاج عند الكاتبات النسويات وزيادة مطالبهن الداعية إلى المساواة وتكافؤ الفرص والتعبير

لوحة الفنان وليد نظمي



على الرغم من هذا الخضوع روح التمرد والصراع، كما ظهر في نموذج شخصية المرأة المجنونة في تلك الأعمال التي كتبتها النساء للتعبير عن الرغبة في الانتقام من واقعها المفروض عليها.

إن رواية غرفة تخص المرء وحده لفرجينيا وولف تكشف من خلال بطلتها جوديت عن التمييز الذي كانت تعاني منه المرأة على مستوى التعليم والفرص المتاحة لها، إضافة إلى كراهية الرجال الغائب فيها.

استند إليه في تأنيث حياتها الروحية والجمالية.

على الرغم من هذا الخضوع روح التمرد والصراع، كما ظهر في نموذج شخصية المرأة المجنونة في تلك الأعمال التي كتبتها النساء للتعبير عن الرغبة في الانتقام من واقعها المفروض عليها.

إن رواية غرفة تخص المرء وحده لفرجينيا وولف تكشف من خلال بطلتها جوديت عن التمييز الذي كانت تعاني منه المرأة على مستوى التعليم والفرص المتاحة لها، إضافة إلى كراهية الرجال الغائب فيها.



مفيد نجم
كاتب سوري

لم تكن المرأة الكاتبة ضيفاً مرحباً به في صالون الأدب الخاص بالرجال عندما حاولت أن تتقدم على سلطة النسق الثقافي الذكوري الذي كان يحدد لها أنوارها الاجتماعية التقليدية ويمنعها من مغامرة الهامش الذي وضعت فيه زمناً طويلاً، وكان الإبداع والأدب حرفة خاصة بالرجال. لذلك كان عليها في مغامرة البحث عن ذاتها خارج جدران هذه العزلة الكريمة والصمت التي كانت تعيش بينها أن تتسلل متخفية وراء أقبعة الرجال إلى هذا الفضاء، ما جعل

الحضور اللافت الذي استطاعت المرأة الكاتبة أن تحققه في الحياة الأدبية لم يجعل النقد الأدبي الذي كان يهيمن عليه الرجال يلتفت إلى هذا الأدب، ويمنحه التقدير الذي يستحقه، ما جعل المهمة الأولى للنقد النسوي عند ظهوره في بداية ستينات القرن الماضي هي إعادة الاعتبار لهذا التراث من خلال إعادة تقديمه إلى القارئ